من سردية المعنى إلى سردية الوجود: قراءة في المشروع التأليفي والترجمي لسعيد بنكراد

"*From the Narrative of Meaning to the Narrative of Existence: A Reading of the Compositional and Translational Project of Said Benkirad*"

Errougui Soukaina
Narrative and Cultural Forms Laboratory
Sultan Moulay Slimane University, Morocco,
Faculty of Arts and Human Sciences, Béni Mellal

Abstract:
"Semiology, as a postmodern approach, is a science concerned with signs and significations, initiated by Ferdinand de Saussure, who presented the subject in its structural form. The structural treatment was the main impetus for addressing it and exploring the linguistic sign in relation to society, which heralded the innovative cultural production of this new science, which was named 'semiology.' Moroccan critics quickly recognized it, such as Mohammed El-Boukri, Said Benkraâd, and other researchers who carried the torch of leadership in this field. Said Benkraâd states: 'At the beginning of the twentieth century, the Swiss linguist Saussure heralded the birth of a new science called 'semiology,' whose mission will be to study the life of signs within social life.' Saussure regarded language as a human activity that transcends its linguistic existence, which can only be considered a means of equal importance. For this researcher, language is a phenomenon that enjoys a special status; he saw it as the most significant of these systems. Indeed, language is the only tool through which the universe is perceived, a perception that quickly shifted semiotics from its linguistic and language domain to the cultural realm by focusing on the text as a cultural system in relation to other systems. This marked the emergence of cultural semiotics, which sprang from the philosophy of symbolic forms, beginning with 'semiosis to the semiotic space.'"
KeyWords: "The Discourse – Said Benkarad – Meaning – Cultural Narrative – Existential Narrative – Semiotics"

تقديم

شهد مطلع القرن التاسع عشر ظهور مجموعة من التيارات والاتجاهات الفكرية في مختلف مجالات الحياة عامة، وفي المجال اللغوي خاصة، فقد ظهر تيار جديد يسمى باللسانيات البنيوية مع رائدها فيردناد دي سوسير، حيث عرفت اللسانيات معه قفزة نوعية من خلال المحاضرات التي ألقاها في اللسانيات العامة، فأسس بذلك نظرية جديدة مبنية على أسس علمية وموضوعية، منطلقا في مشروعه العلمي الجديد الذي

تبناه من تحديد موضوع علم اللسانيات المتمثل بشكل أساس في دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، كما حدد المنهج الذي اتبعه في دراسته، وذلك منح له تجليا مائزا، ويمثله المنهج الوصفي التصنيفي .

عد البحث في اللسانيات البنيوية موضوعا تنوعت فيه الدراسات على اختلاف التخصصات، وتكمن أهمية موضوعنا هذا في كونه يحاول أن يقف عند أهم المؤسسين للدرس السردي البنيوي، نشأة وتأسيسا وتأهيلا، وكزين عليها من خلال مشروعيه التأليفي والترجمي، رغبة في رصد خصوصيات وتجليات أعماله التي شيدت سردية وجودية خاصة تنطلق من المعنى إلى تمثيل الوجود الثقافي المغربي في الساحة الثقافية العالمية.

فهل الخطاب السيميائي في مشروع سعيد بنكراد له فرادته في السياق الثقافي العالمي والعربي؟ وإن كانت فما تجلياتها ووظائفها؟

وكيف استطاع الناقد سعيد بنكراد تشييد سردية وجودية وهو يبني مشروعه التأليفي والترجمي في السميائيات السردية؟

1 – في تأسيس سعيد بنكراد للتسمية التي كتب لها النوع

أ – في سياق التسمية

عرف الخطاب السيميائي شأن نظائره، بحوثا متتالية، لم ولن تكون ورقتنا هي الأولى والأخيرة التي طرحته أو تطرحه. وذلك راجع لأهمية هذا العمل في حقل الدراسات اللسانية والأدبية والثقافية، إضافة إلى حقول أخرى، تبرهن على أن السميائيات هي العلم الحي المتتبع لمختلف تمظهرات العلامات الوجودية للإنسان وما يتعلق به.

بغض النظر عن إسهامات البنيويين هنا وهناك، وانطلاقاتهم القوية التي كان مهادا لتأسس وتمأسس العديد من العلوم الأخرى، فإننا لا يمكن أن ننكر فوائد العلوم البعدية المنبثقة بمناهجها البحثة، مثل: الأنثروبولوجيا الثقافية، والسميائيات، ونظريات ما بعد الحداثة، وغيرها... وسنطل هنا على السميائيات باعتبارها علما له حظه في المجال العلمي، ويحتك في الآن نفسه، بالمجالين الإبداعي والنقدي، ونؤكد هنا أننا نركز على "السميائيات"، وهي التسمية المقابلة للترجمة الأجنبية " Simiologie"، وهي اسم معرب كما يقر ذلك سعيد بنكراد، وقد تبنى هذه الوجهة بعدما اكتشف الوسم الآخر الذي أطلقه الفيلسوف الأمريكي شارل بورس، إذ وجدناه "يدعو الناس إلى تبني رؤية جديدة في التعاطي مع الشأن الإنساني وفي صياغة تخومه وتحديد حجمه وقياس امتداداته فيما يحيط به.، وقد أطلق على هذه الرؤية اسم السيميوطيقا (التي نتبنى هنا

الاسم المعرب لها وهو السميائيات)"[1]. تأسيس يؤكد أن الاستعمال الصحيح للسميولوجيا في العالم العربي الذي كتب له الذيوع بترجمة السميائيات قد كان المترجم الفذ سعيد بنكراد سباقا لطرحها، وهذا يحسب له إنجازا في الحقل العلمي والثقافي.

ب – المسار العلمي لسعيد بنكراد: قراءة في التقاطع بين المسار العلمي والتأليفي

لقد أسهم التكوين العلمي لسعيد بنكراد في تشييد سردية وجودية خاصة افتتحت بتأصيل المعنى، المعنى من وجود الباحث وأهميته في الحقل الثقافي والأكاديمي الذي يندوج ضمنه من جهة، وأيضا، في الحقل العلمي الحامل لطابع خاص من جهة أخرى.

نبدأ، إذن، بالحقل الأكاديمي وقبله الدراسي المتميزين، اللذين لم يكونا وليدا ساعة، فحصوله على دكتورا الدولة في السميائيات الأدبية سنة 1991 م بكلية الآداب مكناس، كان مستهلا لانفتاحه عليها (السميائيات) في السياق الجغرافي لنشأتها وظهورها، بتعمقه في فروعها ومدلولاتها، واكتشافه لمختلف أبجدياتها باحثا فيها، وحصوله على دبلوم الدراسات العليا في جامعة السربون الجديدة ببلريس/ فرنسا، وهذا بنا وجودا منفردا للذات المؤلفة "سعيد بنكراد"، بعيدا عن كل التوجهات اللاعلمية الفقيرة والمفتقرة، النائية عن أية عقلانية علمية النسج والمنهج، كما أن هذا التكوين العلمي الذي افتتحه ببداية مغربية، سرعان ما توسع وانفتح على فضاءات أرحب (بلريس)، ليعلن هذا الطرح عن انفتاحية وجودية في إطار السرديات الكبرى بشتى تجلياتها، الأمر الذي أسهم في إبراز إعلان الوسم العربي لدكتور مؤطر أكاديميا حاملا لهم فلسفي شيد ملامح سردية كبرى، هي وجودية، أعطته طابعا علميا مرجعيا أولا، وإحاليا عائديا ثانيا – يعود إليه كل من أن البحث في المجال السيميائي والسرديو كذلك الترجمي–، وتتفتق وتتضح أكثر مع المباهج الإنتاجية (الكتب العلمية والمقالاتوكتب الترجمة)،وكذلك المباهج الناشرة، ونخص ذكرا –مجلة علامات – التي يعد دكتورنا المفضال مديرها المسؤول، وهي مجلة متخصصة في الدراسات السيميائية ولكل ما له علاقة بالسرديات، وقد كان لها دور كبير في التعريف بالكثير من الأقلام الجادة والطموحة، التي تسبر أغوار العلم وداخله تفكيكا وتحليلا.

2 – في تسريد المعنى إلى تسريد الوجود: قراءة في المشروع التأليفي والترجمي لسعيد بنكراد

بحثت في موسوعة ويكيبيديا والكتب والترجمات لصياغة تعريف لناقدنا، لكنني وجدت أن الرجل لا يحتاج إلى التعريف، فعجز بذلك القلم وخانتني ملكة اللغة للقيام بما وضعته تصميما أوليا. إنه هامة وهرم علمي

[1] بنكراد سعيد (ط 3، 2012)، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص 9، 10

كبير، له من الإنتاجات ما يبلغ من الفخامة والضخامة، ما يؤشر أنه الإبداع عينه، رجل براع ومجيد في حقلي السميائيات والسرديات، ناحت وفنان في مجال العلامات، مصيب أهدافه، وناقل لثقافة الاعتراف والعلم من خلال الترجمات، وحسبي عزة أني من قارئاته، وحسبي وفاء أني أنتمي إلى جغرافيته وأتشارك معه الهوية العربية، جغرافية أحسست فيها بشساعة وألفة معرفية وأكاديمية، بددها وحولها بعدما كان الضيق سمتها الواسمة، فذكر اسم "سعيد بنكراد"، يدخلك في خانة الترف الفكري والمعرفي الأكاديميين، خاصة حينما/ وعندما يتعلق الأمر بالسميائيات السردية والترجمة، إننا، هنا، وليس إطراء أو مجاملة في حضرة أميرتو يكو المغربي، الذي جال هنا وهناك وهنالك، مشيدا فلسفة السميائيات وعوالمها البعيدة، دون أن يعي أنه يشكل ضمنيا فلسفة المعنى والوجود.

إن الباحث في فلسفة الوجود عند سعيد بنكراد، سيجد أنها لم تأت من فراغ بل تأسست وتكونت بالتأليف أولا، وذلك ابتداء من سنة 1994م، التي ألف فيها كتابه الأول في حقل السميائيات السردية، وقد اختار له وسم "مدخل إلى السميائيات السردية" عنوانا، ثم بعدها "النص السيميائي: نحو سيميائيات للأيدلوجيا" سنة 1996م، و"السيميائيات السردية مدخل نظري" سنة 2001 م، وغيرها من الكتب التي سنوردها فيما يأتي من الورقة، ثم بالترجمة ثانيا، وذلك بالانفتاح على مؤلفات الإيطالي أمبرتو إيكو مترجما عنه كتبه المعروفة: "اعترافات روائي ناشئ" و"دروس في الأخلاق"،وكذلك عن فلاسفة كبار، أمثال "ميشيل فوكو"، الذي ترجم عنه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"، وهذا إن كان يدل فهو دليل قاطع على فرادة علمية وفكرية تؤسس لمشروع ضخم وأنيق يبين فلسفة المعنى والمغزى التأليفي، ويراهن في الآن نفسه على وجود الكاتب/ المثقف، الذي لا معنى له ولا ضخم لا أهداف له ولا تأثير، فالقارئ لمؤلفات سعيد بنكراد يجد أنها تتفاعل مع الجمهور وتمده بمختلف الآليات التحليلية التي تبرهن فعلا على تميزه، وما فلسفة المؤلف إلا تشييد للمعنى وإيصاله للمتلقين في شكل سلس ينم عن وعي بالمادة العلمية والصرامة المنهجية، وغيرها..، وهذا ما سنطرحه متبنيين رؤية أسها مستند على تأسيس بنكراد لفلسفة المعنى والوجود في مشروعه.

إن الحامل لكتب "سعيد بنكراد" والمتأمل في عناوينها سيجد فعلا أنها تؤسس لسردية المعنى، فالمؤلفات ناحتة باحثة، ذات مباحث تشي مداخلها ومضامينها وبخطوط عريضة، على تتبع الألمعي الأحولي "سعيد بنكراد" للمعنى في الحقل السميائيات، وبالتحديد السردية، ليسطع نور القارئ على سردية منفردة بمعانيها، المتسمة في الإطار ذاته بالتعدد الذي يسر له مفهما وشارحا ومحللا، عبر مداخل متعددة، سنركز من خلالها على مجموعة من الكتب المؤسسة في مجالي التأليف والترجمة، ويمكن أن نورد هذه الكتب كالتالي:

المؤلفات العلمية

مدخل إلى السميائيات السردية 1994.

النص السميائي السردي: نحو سميائيات للأديولوجيا 1996.

السميائيات السردية: مخل نظري 2001.

السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها 2003.

مسالك المعنى: دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية 2006.

السرد الروائي وتجربة المعنى 2008.

وهج المعاني: سميائيات الأنساق الثقافية 2013.

سميائيات النص: مراتب المعنى 2018.

البحث عن المعنى 2018.[1]

الترجمة

التأويل بين السميائيات والتفكيكية لمؤلفه أمبرتو إيكو 2000.

سميولوجية الشخصيات الروائية لفليب هامون 2003.

ست نزهات في غابة السرد أمبرتو إيكو 2005.

تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي لميشيل فوكو 2006.

سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس لألجيرداس وغريماس وجاك فونتينيي 2010.

دروس في الأخلاق لأمبرتو إيكو 2010

اعترافات روائي ناشئ، وتأملات في السرد الروائي، التأويل بين السميائية والتفكيكية لأمبرتو إيكو 2014، 2015، 2016.

أنا أوسيلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي لإيلوا غودار 2019.

الإنسان العري: الدكتاتورية الخفية للقمنة لمارك دوغان 2020.

الكلمات والنساء: لمارينا ياغيلو 2021.

[1] أخذت الكتب وسنوات إصدارها من موسوعة ويكيبيديا.

أ – في سردية المعنى

في محاولة لتحليل المشروع الأول (الكتب العلمية) وجدنا خيطا ناظما بينها، إذ كلها تراهن على المعنى سردية لها، سردية نسقية تبرهن عليها العناوين باعتبارها عتبة، ونؤكد بأننا ونحن نتأمل عناوين الكتب السابقة بالترتيب، الأول والثاني والثالث والرابع وكذلك السابع والثامن التي صدرت متواترة، نجد خيطا ناظما يحكمها وهو "سميائيات"، وهذا يعطينا تعريفا مبدئيا بأن المشروع ذي بعد متعدد في المكان وممتد في الزمان، في إشادة بسردية ذات معنى سميائي مجسر بين السرديات الأجناسية والسميائيات باعتبارها منهجا عني بدراسة وتدارس العلامات الاجتماعية والثقافية واللغوية اللسانية.

إن المتأمل في الكتاب الأول "مدخل إلى السيميائيات السردية" الصادر سنة 2001، و"السميائيات السردية: مدخل نظري" اللذين يعدا مؤسسين في المعنى ومعنى المعنى، سيجد أن الثاني يمثل لرهاصا قامت عليه مدرسة بأكملها، ومرد هذا جوهره وأساسه المتين المستند على البنيوية، وبالتحديد لأفكار الجيرداس جوليان كريماص في عمله المؤسس "الدلالة البنيوية"، هذا الكتاب الذي بشر بميلاد سردية المعنى بفهم بنكراد لدلالته ومقصوده الاشتغال على اللغة القوية، هذا من ناحية الاشتغال، أما ناحية التفعيل فيؤكد "سعيد بنكراد" عينه أن الكتاب له بعد سردياتي تصب معانيه في نشر وبسط المعرفة التي "قامت عليها مدرسة بكاملها، أطلق عليها فيما بعد مدرسة باريس السميائية، التي أحالت على بروز تيار يتجاوز الدلالة إلى تأسيس تيار سميائي سيعرف بالسميائيات السردية"[1].

يتخذ المعنى طريقا واضحة معالمة، ويتشكل في طابع أبرز مع القاموس الذي ألفه الباحث عينه "كريماص مع كورتيس"، والذي اختار له وسم "في المعنى والمعنى الثاني"، وهذا يفصح ويدلل صحة الفرضية التي انطلقنا منها، وهي تلك المتمثلة في تأسيس ناقدنا لسردية المعنى التي استلهمها من كبار السميائيين البنيويين، راسما ملامح مسارات جديدة لا تخيب أفق انتظار القارئ، ناقلا المعرفة بأمانة ودقة، موصلا المطلوب الذي يعتبره غايته الأولى والأساس من وجوده مثقفا وأكاديميا واضعا " للأسس المعرفية التي انبنت عليها مدرسة باريس، مقدما كل التأويلات الممكنة للوجه المرئي للنظرية، ويرجع ذلك إلى المفاهيم والمصطلحات التي عادة ما تخفي بناء مجردا تمثل فيه النظرية على شكل مقترحات تخص الوجود والإنسان وأفعاله وأشكال إنتاجه للمعنى"[2]، هو معنى متشكل يبينه الكتاب الذي أتى بعده، وهو الكتاب الموسوم بـ "النص السميائي: نحو سميائيات

[1] بنكراد سعيد، (ط 2001)، السيميائيات السردية مدخل نظري، منشورات الزمن، المغرب، ص4.

[2] المرجع نفسه، ص 5

للأديولوجيا" الصادر عام 1996، وهو ذلك الذي يبني فيه "سعيد بنكراد" تصورا سميائيا للأديوبوجيا مفهوما حاول أن يخدم السلطة بتقويض المفاهيم والعلامات، وهذا العمل جاء بمثابة تصحيح لمسار الفهم والمعاني التي ينأى فيها النص بعيدا في بعض الأحيان خادما للأيدلوجيا، كما راكم فيه مفاهيم نووية من قبيل: السنن والنمط والسلوك...، التي تخدم النص السردي في إطار مقاربة مقارنة بين جهاز السرد وجهاز الأيديولوجيا، اللذين يقتضيان " تحديد الإشكاليات الأولية التي تمكن من قراءة العنصر المتحقق، فإذا كان التعرف على الكون السردي يتم من خلال وجود أشكال كونية تفسر الكون المتحقق، فإن الأيديولوجيا بصفتها جهازا مجسدا أو بصفتها جهازا نظريا عاما"[1].

غير بعيد عما أصل لسردية المعنى في علاقتها بالسميائيات منهجا والنص السردي، نجد في كتاب " السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها" الصادر سنة 2003م ما يراهن على بعد تطبيقي وفق منهجية علمية صرفة، يحيل إليها مفهوم التطبيق الوارد في العنوان، عبر الاشتغال بمفاهيم محددة، وهذا يؤكد على وجود خيط ناظم تفعله السميائيات التطبيقية في الحقل السردي، الذي سبق واستهل بإطار نظري معلن عن شساعة النظرية ورحابة التأويل، ونضيف، بأن عملية التوليف هاته بين الكتب تتضح في كل مرة في الإنتاج الموالي، لكنها هذه المرة تنحى بعدا مزدوجا بتقديم إطارين، نظري وتطبيقي، يعلن النظري عن جهود سوسير في دراسة حياة العلامات في علاقتها بالإنسان منتجا لها (السميولوجيا)،وكذلك بورس الذي ظل يشتغل هناك صائغا لنا تسمية "السيميوطيقا"، يقول: "في بداية القرن الماضي بشر عالم اللسانيات السويسري فرناندو دوسوسير بميلاد علم جديد أطلق عليه السيميولوجيا"، ستكون مهمته، كما جاء في دروسه التي نشرت بعد وفاته (1916)، هي دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية"، ولقد كانت الغاية المعلنة والضمنية لهذا العلم الجديد هي تزويدنا بمعرفة جديدة ستساعدنا، لا محالة، على فهم أفضل لمناطق هامة من الوجود الإنساني بأبعاده الفردية والاجتماعية، ظلت مهملة لوجودها خارج دائرة التصنيفات المعرفية التقليدية.

وفي نفس الفترة التاريخية تقريبا، كان الفيلسوف شارل بورس، في الضفة الأخرى من المحيط الأطلسي، يدعو الناس إلى تبني رؤية جديدة في التعاطي مع الشأن الإنساني وفي صياغة تخومه وتحديد حجمه وقياس امتداداته فيما يحيط به. وقد أطلق على هذه الرؤية اسم السميوطيقا (التي نتبنى هنا الاسم المعرب لها وهو

[1] بنكراد سعيد، (ط1، 1996)، السرد والإيديولوجيا وعالم الممكنات، دار الأمان، الرباط، الصفحات الأولى.

السميائيات)"[1]. ويبين التطبيقي بأن فلسفة بناء المعنى واضحة التشكيل من خلال سن مبادئ التطبيق من قبيل: "كيفية تحليل الأنساق البصرية سميائيا، وسميائيات النسق الإيمائي الجسد ولغاته"[2].

ب – في تسريد الوجود

تتضح سردية المعنى وتتشكل معالمها من خلال كتاب "مسالك المعنى: دراسة في بعض الأنساق الثقافية العربية" الصادر عام 2006م، و"السرد الروائي وتجربة المعنى" الصادر سنة 2008م، و"وهج المعاني: سيميائيات الأنساق الثقافية" الصادر سنة 2013، و "سميائيات النص: مراتب المعنى" الصادر سنة 2018م، و "البحث عن المعنى" سنة 2018م، إذ نجد رابطة قوية بين هذه النصوص وهذا تحيل إليه كلمة "معنى" التي تعد قطب الرحى هاته الأعمال، ونشير أنها تشكل "تقاطبية ثقافية"[3] تؤسس للنظرية في علاقتها بالمنهج من ناحية، وتأصل لعلاقة الجنس الأدبي بالحقل العلمي من ناحية أخرى، ويمكن أن نعلل هذا التأسيس بتقديم ما يفيد ذلك، ففي الكتاب الموسوم بـ "مسالك المعنى: دراسة في بعض الأنساق الثقافية العربي" الصادر سنة 2006م، نقرأ الكثير مما يؤكد على أن المعنى قد بلغ أوج عطائه، تؤشر عليه عتبة العنوان بدراسة وتدارس دكتورنا الفاضل لما سلكه دراسة ثقافية من خلال التركيز على الأنساق الثقافية العربية، وهذا يعضد فرضية الانطلاق من الداخل نحو الخارج، أي من الفكرة إلى فضاء النص إلى الأنساق الثقافية الظاهرة والخفية في ما وراء النص، ويصب هذا في خانة معنى المعنى.

إن اختيار هذا العنوان يؤكد على فطنة الرجل ودهائه، إلى درجة تجعلنا نقر بأنها فيلسوف المعنى والمنظر له، وهذا لم يأت من فراغ، بل يستند إلى نظرية ومنهج علميين ومعمقين، وهما مؤسسان للمعنى الذي يؤكد سعيد بأنه يستدعي تعاملا خاصا، وذلك "باعتباره كيانا هاربا من حالات التعيين المباشر ليستوطن الظل واللاشعور وبؤرة الفعل المنفلت من كل رقابة"[4]، ومن هنا نستنتج أن المعنى مرتبط بالذات في علاقتها بالآخر والوجود، وذلك بالنظر إلى علاقتها بالبحث عن الكينونة وفهم الدواخل الفلسفية والفكرية والرمزية التي تطبعها، " فالإنسان وحده من بين كل الكائنات الحية يدري كينونته في الرمزي والاستعاري وفي كل حالات التعبير الإيحائي، وهذا الهروب الدائم هو الذي يحدد حجم الدلالات وسمكها وكامل امتداداتها الصريحة

[1] بنكراد سعيد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص 9 ،10.

[2] المرجع نفسه، ص 286.

[3] مفهوم التقاطبية الثقافية، مفهوم وظفه الدكتور عبد الرزاق المصباحي في كتابه الرواية والحدود.

[4] بنكراد سعيد، (ط 1، 2015)، مسالك المعنى دراسات في الأنساق الثقافية، منشورات الزمن، الرباط، ص 5.

والضمنية في السوك الإنساني، النفعي منه واللعبي على حد سواء"[1]. إن البحث عن المعنى الوجودي الاستعاري والكينوني أكد وقعه في الحياة الإنسانية، فالمعنى يستمد وجوده من حياة الإنسان، والإنسان بدوره يعيش حياته بتقاصيلها المتعددة باحثا عن المعنى، المعنى الذي يجده سابقا عنه ويتجاوزه، "فهو ليس كيانا جاهزا، وليس معطى مرئيا تدركه الحواس دون وسائط، وليس كما ثابتا يصنف استنادا إلى ما يؤكد وثبت أو ينفي أو يرد هذا السلوك إلى هذه القيمة أو تلك. إنه سيرورة خاضعة في وجودها وفي تحققها إلى هذه القيمة أو تلك. إنه سيرورة خاضعة في وجودها وفي تحققها إلى مجموعة من الشروط"[2]. يتضح إذن أن سردية المعنى متشكلة جوهريا ومرتبطة بالإنسان، الذي كون معها مخاضا وهو يسردها زمانيا ومكانيا. وفي علاقته بالمعاني باعتبارها أحداثا طارئة، فإنها تبقى من الصعب القبض عليها وتبني فلسفة ثابتة وقارة، وهذا يعطى للمعنى بعدا زئبقيا غير جاهز للقبض عليه. إن هذه الزئبقية جعلت الإنسان في مأزق وجودي مكنه من البحث المعنى في تفاصيل المسرود اليومي، والمسرود الثقافي والأدبي وحتى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وهذا ما وجدنا ناقدنا يتقصاه وبعمق، المبرهن عليه في كتاب "السرد الروائي وتجربة المعنى" الصادر عام2008 م، إذ راح الإنسان يبحث عن المعنى في السرد الروائي، ونخص ذكرا المثقفين الذي حملوا مشعل البحث في سردية المعنى بالمعنى الأكاديمي الثقافي والفكري، ووفق مقاربات نظرية معاصرة تحلل المسرود بناء حاملا للمعاني والدلالات في قوالب نصية تنطلق من الذات إلى العالم الخارجي، في إطار يبرهن على الفاعلية والتشابكية والانسجام، هذا في صدد علاقة سردية المعنى بالوجود الثقافي (المثقف/ الأكاديمي)، أما في علاقة سردية المعنى بالوجود الإنساني ومعيشه اليومي، فقد كشف كتاب "وهج المعاني: سيميائيات الأنساق الثقافية" الصادر سنة 2013م، عن علاقة المعنى بالاستعمال والمضمر، وقد أطلق الناقد لفظة وهج إحالة على رفع المعنى الضمنى والمسكوت عنه في الثقافة العربية، مقاربا إياه سميائيا ومبرزا لعلاقة التشييد الدلالي الذي ينتجه الثقافي في تعالقه بالذات باعتبارها كيانا منتجا للثقافة ومتعيشا من خلالها، هذا أسفر وبشكل علني على تصنيف معاني الوجود. ونؤكد بأننا نرتبها، آتيا: المعنى الثقافي، في هذا الاتجاه نجد الأكاديميين والمثقفين الذي كرسوا حياتهم في البحث عن المعنى المتعدد بتعدد المتن التي اشتغلوا عنها، والثاني هو المعنى اليومي الذي نبحث عنه جميعا، ولا يخرج المثقف عن المعنيين السابقين، باعتباره ذاتا تعيش حياة اليومي وحياة المثقف، وإضافة إلى تصنيفنا المتواضع هذا، فأن ناقدنا كان سباقا في تصنيف مراتب المعنى، ويعلن من شأن المعاني ويصنفها علميا اسنادا

[1] المرجع نفسه، ص 5.

[2] المرجع السابق، ص 5.

إلى السميائيات، وهكذا وجدنا كتابي "سيميائيائيات النص: مراتب المعنى" و " البحث عن المعنى" الصادرين سنة 2018 م، يؤسسان لطرح البحث والترتيب في إطار سميائي يعيد قضايا النص للواجهة، وذلك على اعتبار أنه صناعة للمعنى وأن الذات مصدر للمعنى، وبالتالي لا خلاص للذات وللمعنى خارج النص، الذي يعد "محاولة لتسييج "كم معنوي يشكو من ضفاف، أو " فائض دلالي" يحتاج إلى وعي يتقبله ويمنحه شكلا هو أساس وجوده وداخله يمكن أن يميز هذا المعنى عن ذاك"[1]، غير بعيد عن صناعة المعنى، فإنه يتعالق أيضا والذات الصانعة، وذلك باعتبارها مصدره، ومتى كان الأمر كذلك، فالنص خاضع للسلطة، والحديث هنا عن سلطة الذات وسلطة المؤسسات (المؤسسات المالكة للثقافة) التي تنتج النصوص وتسهم في إشاعة هذا النص الذي يحمل معان معينة عن ذاك. وهذا تم التصدي له لفك جدليات متشابكة من قبيل: الطبيعة والثقافة أو الطبيعي والثقافي، " فالدلالة سوى حركة جدلية نستطيع من خلالها فك التناقض القائم بين الإنساني الطبيعي والإنسان الثقافي، أو هي الجسر الذي عبر من خلاله الإنسان من الوجود في العالم إلى الوجود في المعنى"[2]. ولعل هذا هو ما يؤصل له كتاب "البحث عن المعنى".

تبرز فلسفة المعنى وترسم سرديةوجودية خاصة للذات الكاتبة في ترجماتها للكتب الغربية، ونحن نتقصى عناوين الترجمات التي اشتغل سعيد بنكراد على متنها استنتجنا بأن عمله في المعنى ومعنى المعنى والوجود عميق، فرصده للمعنى السميائي والتفكيكي من خلال ترجمته لمؤلف "التأويل بين السميائيات والتفكيكية" لـ أمبرتو إيكو،و"سميولوجية الشخصيات الروائية" لفليب هامون، وعمله على تبيان المعنى الثقافي والاجتماعي للجنون وتقريبه للمتلقي العربي من خلال ترجمته لكتاب "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" للفيلسوف ميشيل فوكو، ووقوفه عند المعنى العلامات والصورة من خلال ترجمة كتاب " علم الدلالة" لـ تامبا و" العلامة : تحليل المفهوم وتاريخه" لأمبرتو إيكو، والصورة: المكونات والتأويل" لغي غوتيي، واستصدار المعنى الأخلاقي والاجتماعي عبر ترجمته لـ "دروس في الأخلاق" لإيكو أيضا، و"قول في التسامح" لـ فولتير و"الإشهار والمجتمع" ليرنار كاتولا، وتتبعه للمعنى التكنولوجي في علاقته بالثقافة والإنسان والاستهلاك من خلال ترجمة "أنا أوسيلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي" لإيزار غودار و "الإنسان العاري: الديكتاتورية الخفية للرقمنة" لمارك دوكان لابي، وتحليله للمعنى الجندري من خلال ترجمة كتاب " الكتاب والنساء" لمارينا ياغيلو، كلها تؤشر على سرديةوجودية خاصة لسعيد بنكراد المترجم، سعيد الموسوعة العميقة،

[1] بنكراد سعيد، (ط1، 2018)، سيميائيات النص: مراتب المعنى، دار الأمان، الرباط، ص 35.

[2] المرجع السابق، ص 53.

الحامل لمشروع فكري قيم يلمسه أي قارئ لكتبه، مشروع ينطلق من المعنى إلى معنى المعنى وصولا إلى علاقتهما بالوجود الإنساني (الإنسان المثقف – الإنسان الطبيعي)، في ارتباطهما بالذات الكاتبة، التي استطاعت أن تسرد لها وجودا خاصا دون أن تعي ذلك، فهي منخرطة وبشكل فعلي في جعل الذات القارئة تفكر في مغزى وجودها، وعلاقتها بالمعنى والتأويل، وعلاقتها أيضا بالمفكر الذي يجعل القارئ ينخرط في تشكيل الوجود، هو وجود ماهوي، القراءة عمليته، والاستيعاب وفهم القضايا مطمحه، والتفكير والتأويل العلمي والفلسفي والفكري مرماه.

3 – دور سعيد بنكراد في خلق سردية ثقافية موحدة المصدر ومتعددة الرؤى.

نرمي هنا إلى التأكيد على أن مشروع سعيد بنكراد العلمي في التأليف والترجمة قد أسهم في خلق سردية ثقافية تنطلق من المغرب نقطة جغرافية إلى تفعل نسقية الوعي الجمعي، المؤمن بأن سعيد دالة وعلامة ثقافية في الوطن العربي والسياق العالمي، صحيح أنه انطلق من فلسفة موحدة المصدر قوامها المعنى والوجود إلا أن هذه الفلسفة قد عبر عنها العديد من النقاد الذين أخذوا عنه وفق رؤى متعددة، وهذا هو الهدف والمغزى، هو جعل الآخر يشيد فلسفة ثقافية تنطلق البعد المصدر.

وفي هذا الإطار فالسردية الثقافية محققة بالوجود والفعل انطلق فيها ناقدنا من مشروعه الموحدة المصدر لتشييد رؤى متعددة برهنت بالفعل على الأهمية الثقافية ووجود المثقف في الحيز والسياق، اللذين لا ينفصلان الهدفية التي يراعى من خلالها الدور والفلسفة التي تعكس وجود الأنا الفاعلة ودورها في تحريك التاريخ وصناعته صناعة ثقافية تؤشر على تفاعل المنهجي والمعرفي في إطار العلامة الوجودية.

خاتمة

في ختام قراءتنا في المشروع التأليفي لسعيد بنكراد، يمكن القول إن بنكراد يمثل نموذجًا مميزًا في الانتقال من سردية المعنى إلى سردية الوجود. من خلال أعماله المتميزة في مجال السميائيات والترجمة، استطاع أن يساهم بشكل كبير في إثراء الفكر العربي وتقديم مقاربات جديدة لتحليل النصوص وفهمها. إن تأكيده على الأبعاد الوجودية للنصوص الأدبية وفهمه العميق للعلاقات السميائية يعكس قدرة استثنائية على تجاوز المعاني السطحية والغوص في عمق التجربة الإنسانية. بذلك، يمثل سعيد بنكراد مرجعًا لا غنى عنه لكل من يسعى إلى فهم أعمق للنصوص وإلى إعادة اكتشاف الذات من خلال القراءة والتحليل النقدي.

إن مشروع بنكراد التأليفي يعكس رؤيته المتكاملة التي تجمع بين التحليل السيميائي والتأمل الفلسفي، مما يتيح للقراء فرصة للاستفادة من منهجيات متعددة ومتنوعة في مقاربة النصوص. علاوة على ذلك، فإن

جهوده في الترجمة لعبت دوراً حيوياً في جسر الفجوة بين الثقافات، مقدمة للقارئ العربي نوافذ جديدة على الفكر العالمي. يبقى سعيد بنكراد نموذجًا حيًا للمثقف الملتزم بقضايا الفكر والمعرفة، مكرسًا حياته لخدمة الأدب واللغة والفكر، ومجسدًا لرؤية تسعى إلى فهم أعمق للوجود الإنساني من خلال السردية والنص.

بهذا، نجد أن سعيد بنكراد لم يكن مجرد باحث أو مترجم، بل هو مفكر مبدع استطاع أن يخلق جسوراً بين مختلف الثقافات والتخصصات، مُضفيًا على الفكر العربي زخمًا جديدًا وأفقًا واسعًا. تظل أعماله نبراسًا يضيء طريق الباحثين والمثقفين، ويحفزهم على استكشاف المزيد من العوالم الفكرية الغنية والمتنوعة.

قائمة المراجع

بنكراد سعيد، (ط1، 1996)، السرد والإيديولوجيا وعالم الممكنات، دار الأمان، الرباط.

بنكراد سعيد (ط 3، 2012)، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها.

بنكراد سعيد، (ط 1، 2015)، مسالك المعنى دراسات في الأنساق الثقافية، منشورات الزمن، الرباط.

بنكراد سعيد، (ط1، 2018)، سيميائيات النص: مراتب المعنى، دار الأمان، الرباط.

المجلات

علوي أحمد، النص بين النقد الثقافي وسميائيات الثقافة المفهوم وآليات المقاربة، ذخائر للعلوم الإنسانية، مجلة محكمة نصف سنوية العدد الثاني.

الموسوعات

موسوعة ويكبيديا